الدلالــة الزمنية للأفعال في تفســير محمد ثناء الله المُظهري (ت ١٢٢٥هـ)

The temporal significance of verbs in the interpretation of Muhammad Thana Allah Al-Muzhari (d. 1225 AH)

أ.م.د. إسماعيل عباس حسين
Assistant Professor Dr. Ismail Abbas Hussein
ismail.alkaabi20@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

إنّ مجــيء الأفعال في الســياق القرآني كثير ما يخرج عن نمط اللغــة المألوف من حيث التصرف في أزمنة الفعل ، وغالبا ما نجد الســياق القرآني لا يجري على وتيرة واحدة في المطابقة الزمنية بين الأفعال، اذ يحصل تصرف في التحول الداخلي للســياق بالمخالفة في أزمنة الفعل، فلا مفرَّ من النظر إلى الزمن في السياق نظرة تختلف عمَّا يكون للزمن في الصيغة؛ لأن معنى الزمن النحوي يختلف عن معنى الزمن الصرفي من حيث إنَّ الزمن الصرفي وظيفة الصيغة، وإن الزمن النحوي وظيفة السياق تحددها الضمائر والقرائن.

(*) كلية الآداب _ الجامعة المستنصرية / قسم اللغة العربية

إنّ بنية الفعل والزمن وجهان لعملة واحدة، لا يمكن فصلهما، فالزمن قرين دلالة البنية على الحدث، ومن المستحيل تصور حدثا في الفعل بلا زمن.

والنص القرآني تشكل من أبنية تدل على أزمنة مختلفة ومتداخلة في أحيان كثيرة يدل عليها السياق الذي وردت فيه، لذا نجد المفسـرين واللغويين يبحثون عن الدلالة الزمنية في النص القرآني من خلال القرائن السياقية التي تحيط بالنص، وهذا ما تمثل في توجيهات المُظهري لأزمنة الفعل في تفسيره.

الكلمات المفتاحية: الدلالة الزمنية- المُظهري- الأفعال.

Abstract

The advent of verbs in the Quranic context often departs from the familiar language pattern in terms of disposition in the tenses of the act, and we often find the Quranic context is not being at the same pace in the temporal matching between the verbs, as there is a disposition in the internal transformation of the context in violation of the verb tenses, it is inevitable to look at time in the context a different look than the time in the formula, because the meaning of grammatical time differs from the meaning of morphological time in that morphological time The function of the formula, and the grammatical tense is a function of context determined by pronouns and conjunctions.

The structure of the verb and time are two sides of the same coin, inseparable, time is associated with the indication of the structure of the event, and it is impossible to imagine an event in the act without time.

The Qur›anic text was formed from buildings that indicate different times and overlapping times in many cases indicated by the context in which they appeared, so we find interpreters and linguists looking for temporal significance in the Qur›anic text through the contextual clues that surround the text, and this is what was represented in the directions of the appearance of the tenses of the verb in its interpretation.

Keywords: temporal significance - **Al-Muzhari** - verbs.

التعريف بالمُظهري وتفسيره

المُظهري هو محمد ثناء الله الهندي الباني بتي (الحسيني، ١٩٩٩، صفحة ١١٥/٧) النقشبندي الحنفي العثماني المظهري وينتهي نسبه الى الخليفة عثمان بن عفان، ولد سنة ١١٤٣ للهجرة في باني بت، نشأ بها وحفظ القران وعمره سبع سنين (الحسيني، ١٩٩٩، صفحة ٩٤٢/٧).

نشأ المُظهري نشأة صوفية فتبحر في التصوف واحاط بأصوله وفروعه ووقف على اسراره فاصبح من شيوخ الطريقة النقشبندية (آفردي، ٢٠٢٢، صفحة ٥٥).

ترعرع في أسرة علمية دينية وكان بفضل الله ثم برعاية أبويه حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز السابعة من عمره واكمل دراسته الشرعية في السابعة عشر من عمره، توفي سنة (١٢٢٥هـ). ولقد اثرى المظهري المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب المهمة ومنها تفسيره.

تفسير المظهري

يسمى بـ(تفسير المظهري) نسبة إلى شيخه ميرزا مظهر جان جانان الدهلوي (الحسيني، ١٩٩٩، صفحة ٩٤٢/٧) ،ويعد من التفاسير التي توسع صاحبها في تفسير الآيات وتفرع بها كثيرا ويصنف ضمن التفسير الفقهي (الباباني، ١٩٥١، صفحة ٣٥٣/٢): وهو أشهر مصنفاته، يقول الشيخ عبد الحي الحسني: «التفسير المظهري للشيخ ثناء الله الباني بتي في مجلدات كبار بالعربية، اعتنى فيه بالفقه والتصوف والقراءة والإعراب أشد اعتناء» (الحسيني، ١٩٩٩، صفحة ٩٤٢/٧)، وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات هي:

- طبعة مكتبة الرشدية باكستان، سنة(١٤١٢هـ) تحقيق: غلام نبي التونسي.
- طبعة دار الكتب العلمية- بيروت، نشرت عام ٢٠٠٧ في، في سبعة مجلدات، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
- طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان سنة (٢٠٠٤م)، تحقيق أحمد عزو عناية في عشر مجلدات.

جمع المظهري في تفسيره بين مناهج التفسير المختلفة فنجد فيه التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور وتفسير القرآن بالقرآن (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ١٧/٢)وبالسنة المطهرةوأقوال الصحابة والتابعين وكان يهتم بذكر أسباب النزول.

والمنهج العام الذي سار عليه هو أن يضع قطعة من الآية تحت خط ثم يقوم بتوضيح معانيها مهتما بالاحاديث النبوية وشرح مفرداتها كلمة بعد كلمة ويذكر سبب النزول قبل البدأ بالآية إن وجد ويحتكم في التفسير إلى اللغة إذا دعت الحاجة ويذكر القراءات مع الاهتمام بتوجيهها ويبين الأحكام الفقهية مع بيان اختلاف المذاهب وأدلتهم ويقوم بالترجيح مع تناول القضايا الأصولية ويتكلم عن الجرح والتعديل ويذكر الوقائع من السيرة والمغازي وقد وضع في بداية كل سورة فهرسة تفصيلية لموضوعات السورة.

الزمن وأقسامه

مفهوم الزمن عند ابن فارس: «الزاي، والميم، والنون: أصل واحد يدل على الوقت من الوقت من ذلك الزمان، وهو الحين قليله وكثيره، يقال زمان وزمن والجمع أزمنة وأزمان» (ابن فارس، ١٩٧٩، صفحة ٢٢/٣).

وفي لسان العرب : «الزمن والزمان أسم لقليل الوقت وكثيره وأزمن الشيء طال عليه الزمان والزمن والزمان والعصر والجمع أزمن وأزمان وأزمنة، وأزمن المكان اقام به زمانا قال أبو منصور: الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلها، قال: وسمعت غير واحدة من العرب يقول أقمنا بموضوع كذا وعلى كذا دهرا، وإن هذا البلد لا يحملنا دهرا طويلا» (ابن منظور، ٢٠٠٣، صفحة ١٩٩/١٣).

أما في الاصطلاح: فقد تعددت تعريفاته عند علماء العربية، فقد ورد ذكره عند سيبويه في كتابه حيث قال: «فإنما يعني أنهما وقعا في الماضي من الأزمنة وأن الاخر كان مع فراغه من الأول» (سيبويه، ١٩٨٢، صفحة ٤١٩/١).

واستعمل أيضا مصطلح الزمان لتوضيح معنى الزمن النحوي حيث قال: «كنت سرت حتى أدخلها إذ لم تجعل الدخول غاية وليس بين كنت سرت وبين سرت مرة في الزمان، الأول حتى أدخلها شيء» (سيبويه، ١٩٨٢، صفحة ٢٢/٣) وأيضا قال: «فإذا قال: ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان...» (سيبويه، ١٩٨٢، صفحة ٣٥/١).

ويرى ابن رشد: «بأن الزمن قديما أزليا وإنّ وجوده بين بنفسه وأعده من أحد أصناف الكم والكون وأجزاءه إما ماض أو مستقبل وأنه ليس شيئا منه يمكن أن يشار إليه بالفعل فإن أقرب شيء يشبهه هو الحركة ولا يمكن أن نتصور زمانا إن لم نتصور حركته» (جهامي ، ١٩٩٨، صفحة ٧٠).

ومن التعاريف السابقة نلاحظ أن هنالك ترابطا بين المعنى اللغوي للزمن والمعنى الاصطلاحي حيث ان كلا التعريفين يتفقان على معنى الازل والقدم ففي المعنى اللغوي أشتق من الأزل الذي لا ينقطع متوافقا مع المعنى الاصطلاحي الذي جاء بمعنى القديم.

أنواع الزمن

الزمن في اللغة العربية نوعان هما: ١- الزمن الصرفي. ٢- الزمن النحوي.

أما الزمن الصرفي: فهو الزمن الذي يدل عليه الفعل خارج السياق، «فهو ما تقدمه معطيات النظرية الصرفية العربية ومعاييرها عن طريق اعتماد الجذر وما يدور حوله من اللواصق (المورفيمات) اعني (السوابق واللواحق والدواخل) وهذا الزمن يوصف دائما خارج السياق» (عبد الجليل، ٢٠٠٢، صفحة ٤٧١).

وأما بالنسبة للزمن النحوي: «فهو الذي تقدمه التراكيب داخل دائرة النصوص وسياقاتها التي تضم الأفعال والأدوات والاسماء وكل القرائن السياقية المنتجة للتراكيب وهذا الزمن لا يوصف إلا داخل السياق» (عبد الجليل، ٢٠٠٢، صفحة ٤٨٩).

الدلالة الزمنية

أطلق عليها ابن جني اسم (الدلالة الصناعية) في كتابه الخصائص في باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية حيث قال: «اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف علــى ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليهــا الصناعية، ثم تليها المعنوية، ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض، فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى (قام)، ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله» (ابن جني، ١٩٥٢، صفحة ١٠٠/٣)، ومــن خــلال هذا القول يتضح لنا أن الدلالــة الزمنية عند ابن جني لا تعدو معنــى الزمن الصرفي ولا تتجاوزه إلى معنى الزمن الســياقي كما هو الحال عليه في الدراســات اللغوية الحديثة، "وإذا كان النحو هــو نظام العلاقات في الســياق، فمجال النظر في الزمن النحوي هو الســياق وليــس الصيغة المنعزلة وحيث يكون الصرف هو نظام المباني والصيغ، يكون الزمن الصرفي قاصرًا على معنى الصيغة يبدأ بها وينتهي بها ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السياق.

فلا مفرَّ إذًا من النظر إلى الزمن في السياق نظرة تختلف عمَّا يكون للزمن في الصيغة؛ لأن معنى الزمــن النحوي يختلــف عن معنى الزمن الصرفي من حيث إنَّ الزمــن الصرفي وظيفة الصيغة، وإن الزمن النحوي وظيفة السياق تحددها الضمائر والقرائن (تمام، ١٩٧٣، صفحة ٢٤٠).

إنّ بنية الفعل والزمن وجهان لعملة واحدة، لا يمكن فصلهما، فالزمن قرين دلالة البنية على الحدث، وبعض اللغويين يفرقون بواســطة الزمن بين الفعل وعناصر الكلام الأخرى ومعنى مجيء الزمن في الفعل هو أن الحدث سوف نراه في احد الأوقات ومن المستحيل تصور حدثا في الفعل بلا زمن.

الزمن والفعل: إن من الطبيعي أن يعرب الفعل عن الزمن وأن يدل على أقســام هذا الزمن ودقائقه وذلك بصيغ وأبنية وتراكيب معروفة وهو أمر حادث في كثير من اللغات. وليست العربية بدعا في ذلك فلا بد أن يدل على الزمن في أبنيتها الفعلية (السامرائي، ١٩٦٦، صفحة ٢٣).

وقد أشــار النحويون إلى أن (الســين) و(سوف) تخلصان الفعل للاستقبال، كما أشاروا الى أن (لن) من أدوات النفي تخلص الفعل للمســتقبل وبهذا تكون نقيض (لم) التي عندما تدخل على (يفعل) تحوله للزمن الماضي الى أن (اذا) ظرف لما يســتقبل من الزمان وعلى هذا وتدخل غالبا على صيغة (فعل) وتحول زمنها من الماضي الى المستقبل في حين أن (إذ) اذا دخلت على نفس البناء فيبقى زمنه الماضي نفســه وربمــا لم يطل النحاة الاقدمــون النظر في الأبنية المركبة والمقصــود بالأبنية المركبة نحو: (قد فعل) (كان قد فعل) و(كان فعَلَ) (السامرائي، ١٩٦٦، الصفحات ٢٤-٢٥).

أزمنـــة الفعل: من هنا نــدرك أهمية الزمن في الفعل فهو قرين دلالة البنية على الحدث فكما قلنا أن الفعل والزمن وجهان لعملة واحدة لا يمكن ابدا فصلهما ومن الطبيعي أن يعرب الفعل عن الزمن وان يدل على أقسامه ودقائقه وذلك بصيغة أبنية وتراكيب معروفة، ومن خلال تعريف سيبويه للفعل نلاحظ أنه يربط زمن الفعل بصيغته: «وأما الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأســماء وبنيت لما مضى ولما يكــون ولــم يقع وما هو كائن ولم ينقطع فأما بناء ما مضى، فذهب وســمع ومكث وحمد، وأما بناء مالم

يقع فإنه قولك أمرا: أذهب واقتل واضرب ومخبرا يقتل ويذهب ويضرب وكذلك بناء مالم ينقطع وهو كائن» (سيبويه، ١٩٨٢، صفحة ١٢/١).

ويشـير أيضـا الى الزمان من خلال قوله: «ويتعدى (الفعـل) إلى الزمان نحو قولك ذهب لأنه بني لمـا مضـى منه وما لم يمض، فإن قال: ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان وإن قال: سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان، ففيه بيان ما مضى وما لم يمض منه، كما أن فيه استدلالا على وقوع الحدث» (سيبويه، ١٩٨٢، صفحة ١٢/١).

وفـي هـذا القول نلاحظ أن زمان الفعل هو مدلول الصيغـة لا المادة فهو يقصد بالأمثلة وبـ(بناء ما مضـى) و(بنـاء مالـم يقع) تلك الصيغ المأخوذة مـن المصادر فالمأخوذ منه لا يـدل على غير الحدث (الذهاب) مثلا اما المأخوذ هو صيغة (ذهب، يذهب، وأذهب) فهذا يدل على أن الذهاب وقع فيما مضى أو يقع مستقبلا أو انه مطلوب الوقوع (مصطفى، ٢٠٠٥، صفحة ١٤٣).

هذا وقد أشار إبراهيم السامرائي الى أهمية التركيب في صياغة أزمنة الفعل وتحديد الدالة الزمنية إذ يقول: «الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغة وإنما يتحصل الزمان من بناء الجملة فقد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة وعل أننا يجب أن نشـير إشـارة عامة إلى أن الفعل ثلاثة: ماض، وحال ومسـتقبل، وإننا نسـتطيع أن نقرر أن صيغة (فعَل) وإن دلت دلالات عـدة فـي الاعراب عن الزمـان فهي في أغلب الأحوال تدل على حدث أنجـز وتم في زمن ماض وأن صيغة (يفعل) تتردد بين الحال والاستقبال وإن ذهب في الاستعمال مذاهب أخرى وذلك بفضل الأدوات والزيادات التي أشرنا اليها» (السامرائي، ١٩٦٦، صفحة ٤٩).

من خلال ما سبق نصل الى حقيقة وهي أنّ أزمنة الفعل ثلاثة تقع ضمن صيغ صرفية اختصت كل صيغة بدلالة على زمن معين ويتحتم علينا أن نمعن النظر في السـياق لنكشـف عن الزمن، فالفعل في اللغة العربية لا يعطينا زمنا بصيغته وحدها وانما نسـتحصل الزمن من خلال بناء الجملة وسـياقها فقد تكون هناك زيادات في الجملة على وضع الزمن في الفعل في حدود واضحة.

والفعـل العربـي لا يفصح عن الزمن بصيغته وحدها وإنما يتحقق من بناء الجملة فقد تشـمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمن في حدود واضحة على أننا يجب أن نشـير إشـارة عامة الى أنّ الفعل ثلاثة: ماض وحال ومسـتقبل. وأننا نسـتطيع أن نقرر أن صيغة (فعَل) وأن دلت دلالات عدة في الاعـراب عـن الزمان فهي في أغلب الأحوال تـدل على حدث انجز وتم في زمـن ماض وأن صيغة (يفعـل) تتردد بين الحال والاسـتقبال وان ذهبت في الاسـتعمال مذاهب أخـرى وذلك بفضل الأدوات والزيادات التي أشرنا اليها (السامرائي، ١٩٦٦، صفحة ٢٤).

فللفعـل فـي العربية ثلاث صيغ هي: (فعـل، يفعل، افعل) والنحاة العرب نظـروا في معنى الزمن بحسب هذه الصيغ فكان من السهل عليهم تحديد الزمن الصرفي المرتبط بالصيغة، فوزعوا هذه الصيغ على اقسام الزمن الثلاث فجعلوا (فعل) للدلالة على الزمن الماضي و(يفعل) للحال والاستقبال و(أفعل) للاستقبال أيضا، ومن منطلق هذه الدلالات الزمنية الصرفية التي جعلوها نظاما صرفيا درسوا الزمن في السـياق فسـموا الماضي ماضيا حتى حين يكون معناه الاستقبال في السياق وكان هذا من مشكلات

التطبيــق التي صادفتهم ونقصــد اختلاف الزمن مع الصيغة التي وضوعها داخل الســياق فقد رأوا أن الخلل يتسرب الى تقسيمهم من نواح عدة (توامة، ١٩٩٤، صفحة ٤).

ولقد أنتقد بعض الباحثين المحدثين النحاة لتركيزهم على الزمن في بناء الفعل واهمال السياق الذي جاء به فيقول فاضل الســاقي «انه كان على النحاة أن يدركوا أن الأفعال مجرد صيغ وألفاظ تدل على زمان ما هو جزء من معنى الصيغة لا على زمن معين وان السياق أو الظروف القولية بقرائنها اللفظية والحالية هي وحدها التي تعين الدلالة الزمنية وترشحها لزمن بعينه» (الساقي، ١٩٩٧، صفحة ٢٣١).

إنّ مجــيء الأفعال في الســياق القرآني كثير ما يخرج عن نمط اللغــة المألوف من حيث التصرف في أزمنة الفعل، وذلك كالتعبير عن الماضي بالمضارع والتعبير عن زمن المستقبل بالزمن الماضي، وغالبا ما نجد السياق القرآني لا يجري على وتيرة واحدة في المطابقة الزمنية بين الأفعال، اذ يحصل تصرف في التحول الداخلي للسياق بالمخالفة في أزمنة الفعل، كأن يأتي في السياق الفعل المضارع ثم ينكسر النسق السياقي بمجيء الفعل الماضي في السياق نفسه، وهذا التحول بالزمن «يكشف عن تصادم الأزمنة على مســتوى البنية الســطحية مما يدفع المتلقي إلى الانتباه والتفاعل مع النص ومحاولة إعادة التوافق بين صيغ الأفعال وأزمنتها في البنية العميقة» (البحيري، ٢٠٠٠، صفحة ٣٢٠).

أولا: الفعل الماضي

الفعل الماضي عند ســيبويه هو «بناء ما مضى فذَهبَ، وسَـمَعَ، ومكُثَ وحُمِد» (ســيبويه، ١٩٨٢، صفحة ١٢/١) بدوره ينقســم إلى قســمين ماضي ثلاثي وماضي رباعي كما ينقســم الثلاثي إلى مجرد والى مزيد والرباعي أيضا الى مجرد ومزيد.

فالفعــل الماضــي: هــو ما دلّ على حــدوث في زمان مضى وفــات، ويرى الزمخشــري أن الفعل الماضي: «هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك وهو مبني على الفتح...» (الزمخشــري م.، المفصل في صنعة الاعراب، ٢٠٠١، صفحة ١٣٧/١). نلاحظ أن الزمخشري وافق سيبويه في الربط بيــن صيغــة الفعل والزمن الماضــي فقد جعلا معنى الحدث والزمن الماضي جــزءا من دلالة الصيغة الصرفية للفعل الماضي.

وقــال الزجاجي في الإيضــاح: «الفعل على أوضاع النحويين ما دل علــى حدث وزمان ماض أو مســتقبل نحو قام، يقوم، وقعد، يقعد وما أشبه ذلك» (الزجاجي، ١٩٨٦، الصفحات ٥٢-٥٣). ونلاحظ أيضا ان الزجاجي قد تابع سيبويه في الربط بين الصيغة الصرفية والزمن الماضي.

هذا بالنســبة للفعل الماضي، اما الزمن الماضي فهو: «الذي يســبق الزمن الذي انت فيه ويمتد الى نقطــة غيــر محدودة وقد يــرد التعبير عن هذا بالصيغة الاصلية له وهــي صيغة فعل» (تمام، ١٩٧٣، الصفحات ٢٤٧-٢٤٨).

قال الســيوطي: «والماضي للحال بالإنشــاء والاســتقبال بطلب ووعد وعطف على مســتقبل ونفي بـ(لا) وإن بعد قســم» (السيوطي، ١٩٨٠، صفحة ٤٠/١) حيث ذكر السيوطي ان للفعل الماضي أربع حالات هي:

١. دلالة الماضي على المضي: وهو الغالب، فصيغة (فعل) الدالة على الماضي المطلق هي الأكثر شـيوعا واسـتعمالا بل هو الأصل في الاستعمال فالفعل حدث في زمان ما من الماضي وانتهى فيه فهو تعميم يدل على انه فعل مستغرق في طي الماضي غير محدد بجزء منه (الم٠٢).

٢. دلالة الماضي على الحال: وذلك إذا قصد به الإنشـاء كـ(بعت واشـتريت) وغيرهما من الفاظ العقـود إذ هـو عبارة عن إيقاع معنـى بلفظ يقارنه في الوجود ولمحنا هـذا الزمن عند (المظهري) في تفسـيره لقوله تعالـى: {فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُـوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَـا} (الانعام: ٣٤) حيث قال المظهـري: «(حتـى أتاهم نصرنا) جعل غاية الصبر النصر فأصبر أنت أيضا كما صبروا حتى يأتيك النصر ففيه وعد بالنصر» (المُظهري، ٢٠٠٤).

وأيضـا قولـه تعالى: {وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} (الانعام: ٤٦) قال المظهري: «(وختم على قلوبكم) أن يغشاها بما يزول به عقولكم وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله» (المُظهري، ٢٠٠٤).

وكذلـك قولـه تعالى: {إِنَّ الَّذِيـنَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَـادُواْ} (البقرة:٦٢) إذ انصـرف الفعل من صيغة الماضـي الى زمـن الحال لدى المظهـري حيث قال: «(والذين هـادوا) أي تهـودوا...» (المُظهري، ٢٠٠٤). وكذلك قوله تعالى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة: ١٨٢) قال المظهري: «(فمن خاف) أي توقع وعلم» (المُظهري، ٢٠٠٤).

ونلمح إشـارة المظهري الى خروج صيغة (فعل) من الماض الى الحال في قوله تعالى: {قَدْ سَـأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ} (المائدة:١٠٢) قال: «(قد سألها الضمير راجع إلى الأشياء بحذف الجار أي عنها أو إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا فلم يُعد بعن» (المُظهري، ٢٠٠٤).

٣- دلالة الماضي على الاستقبال: وذلك اذا اقتضى طلبا نحو: غفر الله لك، وعزمت عليك إلا فعلت أو لمـا فعلـت، او وعدا نحو: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} (الكوثر: ١) أو عطف على ما علم اسـتقباله نحو: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} (هود:٩٨) و{وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَـنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} (النمل: ٨٧) او نفي بـ لا او إن بعد قسـم نحـو: {وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (فاطر: ٤١) أي ما يمسكهما، وقد تتحول دلالة صيغة الماضـي من الدلالة على الزمن الماضي الى الدلالة على زمن المسـتقبل ومثال ذلك قوله تعالى: {إِنْ تَـرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّـةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَـى الْمُتَّقِينَ} (البقرة: ١٨٠) قال المظهري: «(إن تـرك خيـرا) ذكر الماضي وأراد به المسـتقبل يعنـي إن كان له خير يتركـه والخير هو المال» (المُظهـري، ٢٠٠٤). وكذلـك قوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِـنْ غِلٍّ} (الأعراف: ٤٣) قال المظهري: «(ونزعنا) أي اخرجنا صيغة ماضي وضع موضع مسـتقبل تحقيقا لوقوعه» (المُظهري، ٢٠٠٤).

وتدل صيغة الماضي على المستقبل إذا وردت في سياق الامر جاء ذلك في قوله تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْـلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْـلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}

(ال عمران: ٢٠) فصيغة الماضي في (أسلموا) تدل على المستقبل في سياق الشرط (الوزير، ١٩٩٨، صفحة ٤٧).

وأيضا قوله تعالى: {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} (يونس: ٢٢) قال المظهري في تفسير الآية السابقة «(وظنوا) لم يقل أيقنوا لأن اليقين لا يتصور فيما يكون في المستقبل بمجرد القرائن» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٢٥٧/٣) وقد خالف بقوله هذا ابن كثير إذ قال: «(ظنوا) هلكوا» (ابن كثير، ١٤١٩، صفحة ١٤٤/٢).

وقوله تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} (المائدة: ١١٩) حيث بيّن المظهري «انه أراد بها يوم القيامة وقد يجيء إذ مع صيغة الماضي في المستقبل للدلالة على اتيانها لامحالة كأنها كائنة نظيره قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا} (سبا: ٥١)» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٢٣٣/٣) وقد تابعه الشوكاني بالذهاب الى نفس المعنى (الشوكاني، ١٤١٨، صفحة ٥٠٣/٤).

٤- دلالة الماضي على الزمن العام: وقد يأتي الفعل الماضي مجردا من الزمان فيكون غير مقيد بزمن معين ومعنى هذا أن مدلوله يحدث في جميع الأزمنة (الماضي، الحاضر، المستقبل) ويسمى بالزمن الدائم ودلالة الفعل الماضي على الزمن الدائم ترد في سياق لا يقع فيه الحدث في زمن خاص وإنما يحدث في كل زمان (بكري، ١٩٩٧، الصفحات ١٢٤-١٤٥) ويأتي الفعل الماضي دالا على الزمن العام في المواضع الاتية:

١. إذا أسند للفظ الجلالة الله، ومثال ذلك قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (الفتح: ٤) فالله جل علاه كائن «فيما مضى والساعة وفيما يكون» (عكاشة، ٢٠١١، صفحة ١٠٢).

٢. إذا دلّ على حدث متكرر ومتجدد، كما في قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ} (النحل: ٨٠).

٣. إذا دلّ على ظاهرة كونية تتسم بالتجدد، مثل: قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} (النحل: ١٠) فنزول الماء من السماء يكون في كل زمان.

٤. إذا دلّ على صفة ثابتة وملازمة للنفس، قال تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ} (النساء: ١٢٨) قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: «ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني إنها مطبوعة عليه» (الزمخشري م.، الكشاف، ١٩٧٩، صفحة ٥٧١/١).

٥. إذا ورد في سياق الامثال، يعرف المبرد(ت٢٨٥ه) المثل بقوله: «المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول» (الميداني، ٢٠٠٤، صفحة ٥/١) ومثال ذلك (أنجز حر ما وعد) فالفعل الماضي (انجز) قد دل على وقوع الحدث في نقطة زمنية محددة في الزمن الماضي وهي المناسبة التي قيل بها هذا المثل للمرة الأولى لكن وقوعه لايزال مستمرا كلما أتت مناسبة مشابهة للأولى (الوزير، ١٩٩٨، صفحة ١٣٠).

وأخيرا نذكر احدى القرائن التي يعتمدها المفسرون على السياق القرآني وهي اعتمادهم على الآية التـي قبل الآية المعنيـة، كما في قوله تعالى: { إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ} (المائدة: ٣٤) فقد ذهب أبو حيان الى دلالة الفعل الماضي على الاستقبال، حيث قال: «(تابوا) فعلا أريد به الاستقبال» (الأندلسـي، ١٣٢٨، الصفحـات ٣٨٥/٤-٣٨٦) قـال المظهري: «إلا الذين تابوا مـن قبل ان تقدروا عليهم) قال البغوي: من ذهب أن الآية نزلت في الكفار قال: معناه إلا الذين تابوا من الشـرك وأسـلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعة عليهم فيما أصابوا في حال الكفر مندم أو مال...» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ١٢٠/٣).

اذ اعتمـد في هذا تفسـيره على الآية التي قبلها وهـي قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِيـنَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِـكَ لَهُـمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ{٣٣} إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ {٣٤}} (المائدة: ٣٣) فجعل زمن تابوا ينحصر في المستقبل.

ثانيا: الفعل المضارع

نجد في الكتاب بيان تسـمية المضارع في قول سـيبويه: «مضارعة أسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائـد الأربع الهمزة، والتاء، واليـاء، النون وذلك قول أفعل أنا، تفعل أنت أو هي ويفعل هو، ونفعل نحن» (سـيبويه، ١٩٨٢، صفحة ١٣/١)، واسـتعمل سيبويه مصطلح المضارع في باب مستقِل سماه: «باب إعراب الأفعال المضارعة للأسـماء» (سـيبويه، ١٩٨٢، صفحة ٥/٣). والمضارع في حاشية يـس: «والمضارع كلمـة دلت وضعا على حدث وزمـان يتحقق حاضرا كان أو مسـتقبلا كيقوم الان وسيقوم فإنه مستقبل» (الحمصي، ٢٠١٦، الصفحات ٧١/١-٧٢).

وقال ابن مالك: «والمضارع صالح له وللحال ولو نفي بـ لا، خلافا لمن خصها بالمسـتقبل يترجح الحال مع التجريد» (السيوطي، ١٩٨٠، صفحة ٧/١). وذكر ابن الحاجب في الكافية: «المضارع: ما اشبه الاسم بأحد حروف (تأنيث) لوقوعه مشتركا وتخصيصه بالسين فالهمزة مفردا والنون له مع غيره والتاء للمخاطب مطلقا وللمؤنث والمؤنثين غيبة، والياء للغائب غيرها وحرف المضارعة مضموم في الرباعي مفتوح فيما سواه ولا يعرب من الفعل غيره إذا لم يكن به نون التوكيد ولا نون جمع المؤنث» (الأسـترباذي، ١٣١٠، صفحة ١٥/٤). وعرّفه السيوطي قائلا: «المضارع إنما يحصل بزيادة حرف المضارعـة علـى الماضي ومن ذلك الهمزة، والنون، والتاء، والياء لأن معناهما متغاير وتغير المعنى يقتضي تغير اللفظ» (السيوطي، ١٩٨٠، صفحة ٢٨٠/٣).

من خلال التعريفات السابقة للفعل المضارع نستخلص الى ان الفعل المضارع هو ما دلّ على حدث يقـع فـي زمن الحال (التكلم) ويحصل بزيادة هذه الحروف: (الهمزة التاء والياء والنون) على الماضي مجموعة بكلمة (أنيت).

صيغ الفعل المضارع ودلالاتها:

١. دلالة الحال البسيط: وتأتي للإعراب عن حدث جرى وقوعه عند التكلم واستمر واقعا (توامة، ١٩٩٤، صفحة ٩٠). نحو: (احسبك مدركا أمري) (السامرائي، ١٩٦٦، صفحة ٣٢)وهذه الصيغة تكاد تكون خالية من الزوائد والقرائن.

٢. الحال الذي يدل على الزمن الماضي: ويكون بشرط توفر القرائن الاتية (لم، لما، وإذ) ومثال ذلك قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (الحجرات: ١٤) وأيضا قوله تعالى: {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه أمسك عليك زوجك وأتق لله} (الأحزاب: ٣٧) وقد أشار (المظهري) في تفسيره الى هذا الزمن في تفسيره لقوله تعالى: {حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} (البقرة: ٢١٤) إذ قال: «(حتى يقول) إذا كان بعد حتى مستقبلا بمعنى الماضي يجوز فبالنصب والرفع، فقرأ نافع بالرفع والباقون بالنصب» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٢٨٥/١) وكذلك لمحنا تفسيرا لهذا المعنى لدى (المظهري) في قوله تعالى: {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} (البقرة:٣٣) إذ قال: «(وماكنتم تكتمون) يعني ما كتم أبليس من المعصية وفي الآية دليل على أن خواص البشر وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كما ذهب أهل السنة والجماعة اليه...» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٦٣/١).

ويخرج السياق الزمني للفعل المضارع الى الزمن الماضي اذا اقترن الفعل بـ(ربما) جاء ذلك في قوله تعالى: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} (الحجر: ٢) وقد اختلف النحاة في معنى (ربما) أهي للماضي ام للمستقبل ام لزمن خاص؟.

إنّ المضارع في هذه الحالة يراد به استحضار الصورة للحدث الماضي وكأنه أمر بارز للعيان يقول ابن الاثير: «وأعلم ان الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي» (ابن الأثير، ١٩٣٩، صفحة ١٩٤/٢)

وهذا ما أطلق عليه الزمخشري حكاية حال فمثال ذلك: ما جاء في قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (المائدة: ٤٨).

السياق في هذا المثال أضاف للفعل المضارع (فينبئكم) دلالة زمنية معينة وذلك من خلال عطف الفعل المضارع (فينبئكم) على الفعل الماضي (أتى) إذ يقتضي السياق بموجب المطابقة الزمنية أن تجري الأفعال على نسق واحد. قال السيوطي: «وما عطف على حال أو مستقبل أو ماض أو عطف عليه ذلك فهو مثله لاشتراط اتحاد الزمن في الفعلين المتعاطفين» (السيوطي، ١٩٨٠، صفحة ٢٣/١).

وكذلك ينصرف زمن (المضارع) الى الماضي اذا سبق بـ(لم) فهي تجزم المضارع وتصرف زمنه الى الماضي (ابن هشام، ١٩٩٩، صفحة ٢٦٩/١) ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا

إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ} (الملك: ١٩) فالفعل «(يروا) هنا دل على الماضي لأن فيه تفكيرا بما خلق الله يقول الصابوني في تفسيره: أي أو لم ينظروا نظر اعتباري إلى الطيور فوقهم باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها وتحليقها» (الصابوني، ١٩٩٧، صفحة ٤١٩/٣).

٣. الحال الذي يدل على المستقبل: وهو الذي يدل على مجرد الاستقبال خال من كل جهة وصيغه بحسب القرائن المقالية والحالية كثيرة نذكر منها: (يفعل، سيفعل، سوف يفعل، يفعلن) كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} (النساء: ٥٦) كما جاء في قوله تعالى: {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ} (القلم: ١٦) أسلوب الشرط والانشاء (إن، لو، إلا) وجاء ذلك في قوله تعالى: {قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} (يوسف: ٧٧) مجيء يفعل مع اسلوب النفي والنهي مثل: (لن يفعل، ولا يفعل) كما في قوله تعالى: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} (النساء: ١٤٣) وكذلك يدل المضارع على المستقبل اذا جاء يفعل بعد (قد) فأنه يدل على زمن المستقبل وكذلك الأمر مع يفعل (ليفعل) وفي الاستثناء والتعليل نحو: (ربما يفعل) والسببية نحو: (ليفعل) و(حتى + يفعل) و(لو المصدرية مع يفعل) (توامة، ١٩٩٤، صفحة ٩٤) فكل هذه الأدوات اذا جاءت مع الفعل المضارع حولت زمانه من الحال الى الاستقبال.

وجاء هذا الزمن في تفسير المظهري لقوله تعالى: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (البقرة: ٩٥) إذ قال : «(ولن يتمنوه أبدا) في هذه الجملة إخبار بالغيب معجزة على اليهود» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ١١٤/١)

وأيضا لمحنا إشارة أخرى الى هذا الزمن لدى (المظهري) في تفسيره للآية الكريمة: {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: ٣٨) حيث أشار الى معنى الاستقبال في الفعل (يحزنون) إذ قال: «(ولا هم يحزنون) على ما خافوا فإن الخوف على المتوقع والحزن على الواقع أو المعنى (لا خوف عليهم) في الاخرة بحلول مكروه (ولا هم يحزنون) في الاخرة بفوات محبوب» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٦٨/١).

ويرى المظهري إشارة المضارع الى الزمان القريب في قوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (النساء: ١٧) إذ قال: «(ثم يتوبون من قريب) من للتبعيض أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب قيل: معنى القريب قبل ان يحط السوء بحسناته فحبطها، وقيل: قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها ويزين السوء على قلبه، وقال السدي والكلبي: القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته، والصحيح أن المراد به في حياته قبل حضور الموت ومعاينة ملائكة العذاب....» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٢٥٧/٢).

وقد يذهب الفعل المضارع من الحال الى دلالة المستقبل القريب ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} (البقرة: ٧١) قال المظهري :» (وما كادوا يفعلون) لكثرة مراجعاتهم

أو لاختلافهـم فيمـا بينهم أ ولخوف الفضيحة في ظهور القاتـل أو لعدم وجدانها بتلك الصفات أو لغلاء ثمنهـا» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٩٤/١) فالفعل (يفعلون) سـبق بـــ(كاد) فدل على (اقتراب وقوع الفعل) (بكري، ١٩٩٧، صفحة ٧٦)أي «فعلوا الذبح بعد إبطاءه» (توامة، ١٩٩٤، صفحة ٥٢).

٤-أفعـــال مضارعة يراد بها الأمر: قـال تعالـى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِـهِنَّ ثَلَاثَـةَ قُرُوءٍ} (البقرة: ٢٢٨) فالفعل يتربصن يراد به الأمر، قال المظهري:» (يتربصن) خبر بمعنى الأمر للتأكيد» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٣٢٩/١) وهذا ما أشـار إليه الشـعراوي في تفسـيره إذ قال: «الحكم لم يرد بصيغة الامر ولكن جاء في صيغة الخبر وحين يريد الحق سـبحانه وتعالى حكما لازما لا يأتي له بصيغة الامر الانشائي ولكن يأتي له بصيغة الخبر أأكد وأوثق للأمر» (الشعراوي، ١٩٩٢، الصفحات ٩٨٢/٢-٩٨٣).

ثالثا: فعل الأمر

قال سـيبويه: «وأما بنـاء مالم يقع فإنه قولك آمرا، اذهب واقتل، واضرب...» (سـيبويه، ١٩٨٢، صفحة ١٢/١). وقد عرفه الزمخشري حيث قال: فعل الأمر من المضارع بعد نزع حرف المضارعة. وقال هو الذي على طريقة لا يخالف بصيغته صيغته إلا ان تنزع الزائدة فتقول في تضع وفي تضارب وفـي تدحرج وحرج ونحومهما مما اوله متحرك فإن سـكن وزدت لئلا تبتدئ بالسـاكن همزة وصل، فتقول: في تضرب (اضرب) وفي تنطلق وتسـتخرج أنطلق، واسـتخرج (ابن يعيش، ١٩٠٠، صفحة ٢٨٩/٤).

وما ذهب اليه الزمخشري يمثل رأي البصريين، اما الكوفيون فقد ذهبوا الى أنه معرب مجزوم بلام محذوفـة وهي لام الأمر فـاذا قلت: أذهب، فأصله: لتذهب وإنما حذفت اللام تخفيفا وما حذف للتخفيف فهـو فـي حكم الملفوظ به فكان معربـا مجزوما بذلك الحرف المقدر. ويؤيد عنـدك انه مجزوم انك اذا امـرت من الأفعال المعتلة نحو يرمي ويغزو ويخشـى حذفت لاماتهـا كما تفعل في المجزوم من نحو: ليغز وليرم وليخش (ابن يعيش، ١٩٠٠، صفحة ٥٨/٧).

وعرّفـه ابن يعيش حيث قال: «أعلم أن الأمـر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته فإن كان من الأعلى إلى من دونه فهو أمر، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء» (ابن يعيش، ١٩٠٠، صفحة ٥٨/٧).

فالأمر هو «ما يطلب به حصول شـيء بعد زمن التكلم نحو: أجتهد وعلامته أن يقبل نون التوكيد، وياء المخاطبة، مع دلالته على الطلب» (الحملاوي، ٢٠٠٥، صفحة ٥٧).

أما دلالة الزمن في فعل الأمر فهو يدل على الاسـتقبال، وفعل الأمر عند سـيبويه: «ما يكون ولم يقـع « (سـيبويه، ١٩٨٢، صفحة ١٢/١). وذكر مهـدي المخزومي: أن فعل الأمر فقد فاعليته لما خلا من دلالة الفعل إذ هو يدل على حدث مقترن بزمن ولا يوجد هذا في فعل الأمر، ومن خاصية الفعل أن يبنى على المسند اليه ويحمل عليه ولا يتحقق ذلك في فعل الأمر (المخزومي، ١٩٨٦، صفحة ١٢٠).

دلالات فعل الأمر

١- الدلالة على الاستقبال: دلالة الزمن في صيغة الأمر هو الاستقبال فقلنا سابقا أن فعل الامر عبّر عنه بانه ما يكون ولم يقع ويقصد بذلك الاستقبال ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} (الملك: ٣) وأيضا قال: {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} (الملك: ٤) قال المظهري:» (ثم ارجع البصر كرتين) عطف عل (فارجع) والتثنية للتكثير أي كرة بعد كرة كما في لبيك» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٣٥٩/٩)، فالفعل ارجع ورد في سياق الاستقبال انطلاقا من أمر الله تعالى النظر في السموات ورددده في خلقهن المحكم هل ترى من شقوق او صدوع وطلب تكرير النظر أي ردد النظر مرة أخرى وأنظر بعين الاعتبار في هذه السموات العجيبة (الصابوني، ١٩٩٧، صفحة ٤١٦/٣).

ومن أفعال الأمر الدالة على الاستقبال ما جاء في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك:١٥) قال المظهري: « (فأمشوا في مناكبها) جوانبها ومنه منكب الرجل ، وقيل المراد بالمناكب الجبال، وهذا مثل لفرط التذلل فإن منكب البعير لا يطأ الراكب ولا يتذلل له فإذا جعل الارض في الذل بحيث يمكن المشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل « (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٣٦٢/٩)أي فأسلكوا ايها الناس جوانبها وأطرافها وترددوا في أطرافها وأرجائها من مكاسب.

ومثله قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ} (المدثر: ١-٢) قال المظهري :» قم من مضجعك أو قم قيام عزم وجد» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٨٨/١٠)لأن الفعل (قم) دل على ما يستقبل من الزمن القريب (بكري، ١٩٩٧، صفحة ٨٩).

ومن دلالات افعل على المستقبل القريب ما جاء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: ٢١) يقول ابن عاشور: «الخطاب كان موجها لناس سامعين فعمومه لمن لم يحضر وقت سماع هذه الآية ولمن سيوجد من بعد يكون بقرينة عموم التكليف» (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٣٢٥/١).

وكذلك قوله تعالى: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} (البقرة: ٣٦). فالفعل (أهبطوا) دل على هذا الزمن، قال المظهري: « (وقلنا اهبطوا) أي أنزلوا الى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس وحواء» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٦٧/١) قال الرازي: «اعلم أن في هذه الآية تهديدا عظيما عن كل المعاصي» (ابن كثير، ١٤١٩، صفحة ٨٦/١).

٢-الدلالة على المستقبل المتجدد والمستمر: كما في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} (البقرة: ٤٣). الأفعال (أقيموا، أتوا، واركعوا) هي أفعال أمر غرضها الوجوب فالأول أمرهم بالصلاة مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي الثاني امرهم بدفع الزكاة وفي الامر الثالث اركعوا، أي كونوا مع المؤمنين في احسن أعمالهم (ابن كثير، ١٤١٩، صفحة ٩٠/١).

٣- الدلالة على المستقبل البعيد: قال تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (البقرة: ١٢٩) فغرض الفعل (أبعث) الدعاء بمجيء الرسالة في ذريته لتشريفهم وحرصا على تمام هديهم.. وإنما قال: «{فيهم} ولم يقل لهم لتكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة فلا يكون ذلك الرسول رسولاً إليهم فقط، ولذلك حذف متعلق (رسولاً ليعم، فالنداء في قوله: ربنا وابعث) اعتراض بين جمل الدعوات المتعاطفة.. وجيء بالمضارع في قوله: (يتلو) للإشارة إلى أن هذا الكتاب تتكرر تلاوته» (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٧٢٢/١).

٤- الدلالة على الماضي : وهو إعراب عن المستقبل في زمان ماضٍ وصيغته (كان سيفعل، وكان سوف يفعل) وفي أسلوب النفي تقوم صيغة (ما كان ليفعل) (توامة، ١٩٩٤، صفحة ٩٥) وقد أشار ابن جني إلى هذا الزمن حيث قال: «على نحو حكاية الحال في نحو هذا قولك: كان زيد سيقوم امس، أي كان متوقعا منه القيام فيما مضى» (ابن جني، ١٩٥٢، الصفحات ٢٣٢/٣-٢٣٣)، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا} (البقرة: ٣٤) اذ من الواضح إن الامر الصادر من الله تعالى قد تحقق في حينه (السجود) أي في الوقت الماضي المحكي عنه والدليل على ذلك قوله تعالى فاسجدوا (بكري، ١٩٩٧، صفحة ١٤٢) إذ دل فعل الامر على السجود في الماضي.

وأيضا قوله تعالى: {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (البقرة: ٧٣) (اضربوا) جاءت على صيغة فعل الامر، فإنها وقعت في سياق الماضي حيث جاءت للدلالة على أن الحدث وقع وأنتهى في الماضي. وقد أشار المظهري الى ذلك حيث قال: «(فقلنا أضربوه) عطف على (فيها) وبينهما اعتراض والضمير للنفس بتأويل الشخص (ببعضها) أي ببعض البقرة أي بعض كان وفيه اختصار تقديره فضرب فحيي....» (المُظهري، ٢٠٠٤، صفحة ٩٤/١).

وقد تابع المظهري قول القرطبي في هذا التفسير إذ قال: «(فقلنا اضربوه ببعضها) قيل: باللسان لأنه الة الكلام، وقيل: بعجب الذنب، إذ فيه يركب خلق الإنسان وقيل: بالفخذ، وقيل: بعظم من عظامها، والمقطوع به عضو من أعضائها، فلما ضرب به حيي وأخبر بقاتله ثم عاد ميتا كما كان» (القرطبي، ١٩٦٤، صفحة ٤٢٥/١).

٥- دلالة فعل الامر على الزمن العام: كما في قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (البقرة: ٤٠) فنلاحظ فعل الامر هنا (أوفوا) دل على الزمان العام فالوفاء شامل لكل الأزمنة، فالنداء لبني إسرائيل من عهد موسى عليه الصلاة والسلام، ولكن المخاطبين هم الذين عاصروا النبي -صلى الله عليه وسلم-، وخوطب من كانوا في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل في ماضيهم، مع أنهم لم يروها، فالذين عبدوا العجل ليسوا هم، والذين كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ليسوا هم، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

فقد خوطبوا بكفرهم النعم ونقضهم الميثاق، لأنهم أمة واحدة، ويخاطب الحاضرون بمآثم الماضين إذا علموها وأقروها وساروا على مثلها، ولو أنهم ناقضوها، أو استنكروها، كعبد الله بن سلام وغيره، ما خوطبوا بأخطاء من سبقوهم، لأنهم لم يرضوا عنها ولم ينادوا بشرف الانتماء إليهم (أبو زهرة، ١٩٨٧، صفحة ٢٠٧/١).

المصادر

- ابراهيم السامرائي. (١٩٦٦). الفعل زمانه وأبنيته. بغداد: مطبعة العاني.
- ابن منظور. (٢٠٠٣). لسان العرب. القاهرة: دار الحديث.
- ابو الفتح عثمان ابن جني. (١٩٥٢). الخصائص. بيروت: دار الهدى.
- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني. (٢٠٠٤). مجمع الأمثال. بيروت: دار المعرفة.
- أبو القاسم الزجاجي. (١٩٨٦). الإيضاح في علل النحو. بيروت: دار النفائس.
- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي. (١٣٢٨). البحر المحيط. القاهرة: مطبعة السعادة.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- أحمد بن زكريا ابن فارس. (١٩٧٩). مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.
- أحمد الحملاوي. (٢٠٠٥). شذا العرف في فن الصرف. بيروت: مؤسسة الريان.
- أسامة البحيري. (٢٠٠٠). تحولات البنية في البلاغة العربية. دار الحضارة .

إسماعيل باشا محمد الباباني. (١٩٥١). هدية العارفين. استانبول: وكالة المعارف الجليلة.

- إسماعيل الدمشقي ابن كثير. (١٤١٩). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
- بكري عبد الكريم. (١٩٩٧). الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه. دار الفجر الإسلامية.
- تمام حسان. (١٩٧٣). اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (١٩٧٩). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الفكر.
- جلال الدين السيوطي. (١٩٨٠). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. الكويت: دار البحوث العلمية.
- جيرار جهامي . (١٩٩٨). مفهوم السببية بين المتكلمين والفلاسفة بين الغزالي وابن رشد. لبنان: لبنان ناشرون.
- رضي الدين الأستراباذي. (١٣١٠). شرح الكافية. الهند: المطبعة العثمانية.
- ضياء الدين بن محمد ابن الأثير. (١٩٣٩). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. القاهر: الحلبي.
- عبد الجبار توامة. (١٩٩٤). زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عبد الجليل عبد القادر. (٢٠٠٢). علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات. دار صفاء.
- عبد الحي الحسيني. (١٩٩٩). نزهة الخواطر. بيروت: دار ابن حزم.

- عبد الله بن يوسف ابن هشام. (١٩٩٩). مغني اللبيب. بيروت: المكتبة العصرية.
- عمرو بن عثمان سيبويه. (١٩٨٢). الكتاب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- فاضل مصطفى الساقي. (١٩٩٧). أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة.
- محمد بن أحمد أبو زهرة. (١٩٨٧). زهرة التفاسير. القاهرة: دار الفكر العربي.
- محمد بن علي الشوكاني. (١٤١٨). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية. المنصورة: دار الوفاء.
- محمد ثناء الله المُظهري. (٢٠٠٤). تفسير المظهري. بيروت: دار احياء التراث العربي.
- محمد رجب الوزير. (١٩٩٨). الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية. مصر.
- محمد عادل آفردي. (٢٠٢٢). لمحات التربية العقدية في التفسير المظهري. ماليزيا: جامعة العلوم الإسلامية.
- محمد علي الصابوني. (١٩٩٧). صفوة التفاسير. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر.
- محمد متولي الشعراوي. (١٩٩٢). تفسير الشعراوي. القاهرة: مكتبة الأسرة.
- محمود بن عمر الزمخشري. (١٩٧٩). الكشاف. بيروت: دار الفكر.
- محمود بن عمر الزمخشري. (١٩٧٩). الكشاف. بيروت: دار الفكر.
- محمود بن عمر الزمخشري. (١٩٧٩). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الفكر.
- محمود بن عمر الزمخشري. (٢٠٠١). المفصل في صنعة الاعراب. القاهرة: دار الكتاب المصري.
- محمود عكاشة. (٢٠١١). التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة. القاهرة: دار النشر للجامعات.
- مصطفى جمال الدين. (٢٠٠٥). البحث النحوي عند الأصوليين. دار الهادي.
- مهدي المخزومي. (١٩٨٦). في النحو العربي نقد وتوجيه. بيروت: دار الرائد.
- موفق يعيش ابن يعيش. (١٩٠٠). شرح المفصل. مصر: المطبعة المنيرية.
- يس بن زيد الدين الحمصي. (٢٠١٦). حاشية يس على شرح قطر الندى. بيروت.